السلبية في حياتنا

مرض خطير وما اكثر الأمراض التي أصبنا بها. مرض نخر في أجسادنا فأهلكهـا، وفـي قلوبنـا فأوهنها، وفي أبداننا فأهرمها، انه مرض السلبية في حياتنا، وإن شئت فقل: "مرض العجز والكـسل"، أو ما يعبر عنه بـــ "السلبية".

استشرى هذا المرض في الملتزمين كما هو موجود في المنفلتين والمتسكعين، العطـالين البطـالين، الذين لا يشهدون الفجر في جماعة، ولا الضائعين المنغمسين في الشهوات، فقد ظهـرت علامـات مرض السلبية في الشباب المستقيمين المظهرين لسنة الرسول صلى الله عليـه وسـلم، المتمـسكين بالمنهج القويم، الذي يحسب على أهل الاستقامة،

إن أعراض مرض "السلبية" هي العجز وعدم الاهتمام بما يهم المسلمين، والشعور بالـذل والهـوان نتيجة الامتهان الذي يلاقونه ولا يستطيعون رده. ومضاعفات المرض هي الشعور باليأس والإحباط، وموت الشعور بالأنفة والعزة الإسلامية. فالسلبية مرض لا يسكت عليه، وأمر لا يتغافل عنه،

ولسنا أقل ولا أبخس حظاً من تلك النملة التي شعرت بمسؤليتها، فحذرت قومها، وبينت لهـم، فللـه درها من نملة، ذكرها الله عز وجل في كتابه، وخلد ذكرها الي يوم القيامة، وهي حشرة صغيرة، قال تعالى: "حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَـنَّكُمْ سُـلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ"،

كم من المسلمين يرى الأمراض والأخطار تنهش في جسد هذه الأمة، فلا أمر بمعـروف، ولا نهـي عن منكر، ولا مشاركة في حلقات علم وتحفيظ القرآن، ولا حتى مشاركة في أبـسط الأمـور مـع الجيران. إنْ حُمِّل مسئوليةٌ بسيطةٌ تثاقلها، وإن كُلِّف بشي يسير تذمر منها، وإن قيل له: شارك بكـذا وكذا تَنَصَّلَ منها، بل لا يصبر علي سماع كلمة في مسجد، فهو أول المنـصرفين، وأول الـسرعان، وكأن لسان حاله يقول: لا حاجة لي بهذه الموعظة.

وهل أخَّر المسلمين عن الأمم، إلا تفرُّقهم وكسلُهم وجبنُهم وخَوَرُهم ويأسُهم من القيام بشؤونهم، حتـى صاروا بذلك عالةً على غيرهم؟ ألا ترى إى أثرياء العالم الكفار كيف يتنازلون عن جزء من ثرواتهم للفقراء ولا يطبق هذا أحد من أثريائنا؟ وقد حذرهم دينُهم عن هذه الأمور أشد التحذير. وأمـرهم أن

يكونوا في مقدمة الخلق في القوة، والشجاعة، والصبر، والملازمة للسعي في كل أمر نافع، والعـزم، والحزم، والرجاء، وحسن الثقة بالله في تحقيق مطالبهم. والدواعي لهم في ذلك متوفرة. فإن مجـرد السعي في ذلك بحسب الإمكان من أفضل الأعمال المقرِّبة إلى الله.
يا عجباً لمؤمن يرى أهل الباطل يجهدون ويألمون في نصر باطلهم، وهـم لا غايـة لهـم شـريفة يطلبونها، بينما هو متكاسل عن نصرة الحق الذي يترتب على نصره الخيرات العاجلة والآجلة، كـل ذلك خوفاً من المشقة، وزهداً في إعانة إخوانه المسلمين في ماله أو بدنه وقوله وفعله، بل زهداً فـي مصالح نفسه الحقيقية. قال الله تعالى: "إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ".

<u>= أسباب السلبية في حياتنا</u>

<u>١= عدم تعظيم ومعرفة الله عز وجل.</u>

إن تعظيم الله وإجلاله لا يتحقق إلا بإثبات الصفات له كما يليق به سبحانه، وروح العبادة هو الإجلال لله مع المحبة له، فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت. وعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعـالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم لله تعظيماً وإجلالاً.
قال تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْـدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ" (الأنفال: ٢-٤)
ويقول سبحانه:"وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ. الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ" [الحج: ٣٤-٣٥].

والذي يعظم قدر الله في قلبه يكون عنده الإخلاص لله في القول والعمل
القلوب لا تطمئن إلا بالله، وغنى العبد بطاعة ربه والإقبال عليه، ودين الحق هو تحقيق العبوديـة لله، وكثيراً ما يخالط النفوس من الشهوات الخفية ما يفسد تحقيق عبوديتها لله، وإخلاص الأعمال لله أصل الدين، وبذلك أمر الله رسوله بالإخلاص في قوله: فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدّينِ [الزمر: ٢].
وأُمر النبي أن يُبيّن أن عبادته قائمة على الإخلاص فقال له: قُلْ إِنّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّـهُ الدّينَ [الزمر:١١].
وبذلك أُمرت جميع الأمم قال جل وعلا: وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُـواْ الصَّلَواةَ وَيُؤْتُواْ الزَّكَواةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيّمَةِ [البينة:٥].

وأحق الناس بشفاعة النبي يوم القيامة من كان أخلصَهم لله, قال أبو هريرة رضي الله عنه: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: (من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه) رواه البخاري.

والإخلاص مانع بإذن الله من تسلط الشيطان على العبد, قال سبحانه عن إبليس: فَبِعِزَّتِكَ لأغوينهم أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ [ص:٨٢، ٨٣].

والمخلِص محفوظ بحفظ الله من العصيان والمكاره، قال سبحانه عن يوسف عليه السلام: كَذَالِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوء وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ [يوسف:٢٤].

في الإخلاص طمأنينة القلب وشعورٌ بالسعادة وراحة من ذل الخلق، يقول الفضيل بن عياض رحمه الله: "من عرف الناس استراح"، أي: أنهم لا ينفعونه ولا يضرونه.

وكل عمل لم يقصد به وجه الله طاقة مهدرة وسراب يضمحل، وصاحبه لا للدنيا جمع ولا للآخرة ارتفع، يقول النبي: (إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً, وابتُغي به وجهه) رواه النسائي.

والذي يعظم قدر الله في قلبه يكثر الدعاء والابتهال والافتقار إلى الله

إذا أرت الإعانة من الله تعالي في دعوتك وعملك للاسلام والمسلمين فعليك بالدعاء ولالتجاء إلى الله فهوالمعين وهوالمسدد وهوالمدبر والله يقول في كتابة "وقال ربكم ادعوني أستجب لكم" [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون" [البقرة: ١٨٦]، وقال صلى الله عليه وسلم: « الدعاء هوالعبادة »، ثم قرأ: "وقال ربكم ادعوني أستجب لكم" [غافر: ٦٠].

وقال صلى الله عليه وسلم: « أفضل العبادة الدعاء »

وقال صلى الله عليه وسلم: « ليس من شئ أكرم على الله تعالى من الدعاء »

وقال: « إنّ ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يداه إليه أن يردهما صفرا خائبين »

وقال: « لا يردّ القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر »

وقال: « ما من مسلم يدعوالله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذا نكثر الدعاء، قال صلى الله عليه وسلم: الله أكثر »

وقال: « إنه من لم يسأل الله تعالى يغضب عليه »

وقال: « أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام

وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجُبْن والهرم والبخل، واعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات".

٢= عدم طلب العلم والاستزادة منه:

يحض الإسلام على العلم:
قال تعالى: "قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون" [الزمر:٩].
وقال : "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" [المجادلة:١١].
والعلم بالأحكام الشرعية يؤدي إلى معرفة ما هو ضار من تصرفات الآخرين وما هو نافع، وبالتالي يستحث ذلك الأفراد إلى مقاومة التصرفات الضارة وتأييد التصرفات النافعة، مما يكون عوناً على نفي السلبية من حياتنا.

٣= قصور مفهوم العبادة عند البعض وتدني مستوى الإيمان لدى الكثيرين:

إن مفهوم "العبادة" يقتصر في ذهن كثير من الشباب على إقامة الشعائر التعبدية: الصلاة والزكاة والصوم والحج. وهو مفهوم قاصر، حيث جعل العبادة التي خلق الإنسان ووهب الحياة من أجلها- "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" [الذريات:٥٦] - جعلها قاصرة على لحظات قليلة في الحياة.

وكان لهذا المفهوم القاصر أثره في عجز وسلبية كثير من الناس. فقد انغمس البعض فى شعائر العبادة وكرس حياته لها وأهمل باقي فروع الحياة. والبعض الآخر- على النقيض- اعتبر أنه قد أدّى واجب العبودية بهذه الشعائر، وانطلق في باقي حياته على غير هدى الإسلام!
قال تعالى: "قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ" (الأنعام:١٦٢-١٦٣)
إن حقيقة مفهوم العبادة هوالإقرار بالعبودية الكاملة لله، وهذا الإقرار لا يتأتى فى الشعائر التعبدية وحدها، وإنما يلزم أن يكون في كل منحى من مناحي الحياة. وقد فصل الله ورسوله لنا طريقة حياتنا تفصيلا كاملا في نظام شامل. فإقرارنا بالعبودية لله تعالى لا يتم إلا بخضوعنا واتباعنا لهذا النظام الشامل بكل تفاصيله ودقائقه، والذي لا تمثل الشعائر التعبدية إلا جزءا منه.

وفى الحديث القدسي قال الرسول صلي الله عليه وسلم: "إن الله تعالى قال: ... وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، وإن سألني أعطيته، وإن استعاذني لأعيذنّه" [البخارى].
ولابد من اشغال للسان با التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والرجاء.. ومن مطلوباته أن يكون انعكاسا لما يشعر به القلب.
وكان أسوتنا الحسنة- صلي الله عليه وسلم- ذاكرا لله فى كل أحواله.. كان يقرن كل حركاته وكل أعماله بذكر الله بلسانه تعبيرا عما فى قلبه، وهو ما أُثر عنه باسم "الأذكار"..
فمثلا، كان يذكر الله عند استيقاظه من منامه.. وعند ارتدائه ثوبه.. وإذا أرتدى ثوبا أو نعلا جديدا.. وإذا خلع ثوبه.. وعند خروجه من البيت.. وعند دخوله البيت.. وإذا استيقظ من الليل وخرج من بيته إلي الخلاء (مكان قضاء الحاجة).. وإذا أراد دخول الخلاء.. وعند خروجه من الخلاء.. وعندما يصب ماء الوضوء على يديه.. وعلى وضوئه.. وعلى اغتساله.. وعلى تيممه..
وإذا توجه إلى المسجد.. وعند دخوله المسجد وخروجه منه.. وهو فى المسجد.. وعند سماعه الآذان والإقامة.. وبعد الآذان.. وعندما يقوم للصلاة.. وعندما يقف فى الصف للصلاة.. وعند الصباح وعند المساء.. وصباح يوم الجمعة..وإذا طلعت الشمس.. وإذا ارتفعت الشمس.. وبعد زوال الشمس إلى العصر.. وبعد العصر إلى غروب الشمس.. وإذا سمع أذان المغرب.. وإذا أراد النوم.. وإذا استيقظ فى الليل.. وإذا قلق فى فراشه ولم ينم.. وإذا فزع فى منامه.. وإذا رأى فى منامه ما يحب أو يكره.. وإذا هاجت الريح.. وإذا رأى نجما يهوى.. وإذا سمع الرعد.. وإذا نزل المطر.. وبعد نزول المطر.. وإذا خيف الضرر من المطر.. وإذا رأى الهلال.. وعند تقديم الطعام له.. وعند الأكل والشرب.. وإذا فرغ من الطعام.. وإذا خاف قوما.. وإذا خاف سلطانا.. وإذا نظر إلى عدوه.. وإذا غلبه أمر... وإذا استصعب عليه أمر. أي ذكر الله فى كل الأحوال.

ومن هذا القبيل: الإهمال في تلاوة القرآن وتدبره

فقد جُعل القرآن ليُقرأ.. لذا سمى قرآنا. لذلك يحض الله تعالى على قراءته فيقول: "ورتل القرآن ترتيلا" [المزمل:٤].. ويقول: "فاقرؤوا ما تيسر من القرآن" [المزمل: ٢٠].
والقراءة لا تحقق هدفها إلا مع التدبر- "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوالألباب" [ص:٢٩ولهذا يخص القرآن بالذكر أوقاتا معينة هى أكثر ما يكون فيها الإنسان صافى النفس مستعدا للتلقى والتأثر، فيقول: "وقرآن الفجر، إن قرآن الفجر كان مشهودا" [الإسراء: ٧٨].. ويقول: "واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا" [الإنسان:٢٥] أى أول النهار وآخره..

ويقول: "ومن الليل فتهجد به" [الإسراء: ٧٩].. ويقول عن قراءة الليل: "إن ناشئة الليل هى أشد وطـأً وأقوم قيلا" [المزمل:٦] أى أن ساعات الليل أجمع للخاطر فى أداء القراءة وتفهمها.

ولا يجب أن تقف صعوبة تلاوة القرآن لدى البعض حاجزا يصدهم عن المداومة على التلاوة حتى لا يضيع عليهم الأجر.. قال صلي الله عليه وسلم: "الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران" [متفق عليه].

٤= الانغماس في الدنيا وملذاتها:

لقد اصبح معيار النجاح عند بعض الشباب في الحياة هو الثروة المالية، والمركز الوظيفي، والمركز الاجتماعي، والشهرة! لقد أصبح تنافسنا في الحياة في هذه المجالات، وليس في مجال العمل للفوز بثواب الجنة، كما أرشدنا الله تعالى في قوله: "وفى ذلك فليتنافس المتنافسون" [المطففين:٢٦].

غلبت على قلوبنا المعايير الدنيوية الجاهلية السائدة في الحياة من حولنا.

ولقد حذرنا الله من الدنيا اشد التحذير، قال تعالى: "اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ. سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا" (الحديد:٢٠-٢١).

أما أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي رغبت في الزهد في الدنيا والتقلل منها والعزوف عنها فهي كثيرة منها:

قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمر رضي الله عنهما: [كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل] [رواه البخاري، وزاد الترمذي في روايته: [وعد نفسك من أصحاب القبور].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر] [رواه مسلم].

وقال صلى الله عليه وسلم مبيناً حقارة الدنيا: [ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع] [رواه مسلم].

وقال صلى الله عليه وسلم: [مالي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال - أي نام - في ظل شجرة، في يوم صائف، ثم راح وتركها] [رواه الترمذي وأحمد وهو صحيح]

وقال صلى الله عليه وسلم: [ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس] [رواه ابن ماجه وصححه الألباني]

وقال صلى الله عليه وسلم: [اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصاً، ولا يزدادون من الله إلا بعداً] [رواه الحاكم وحسنه الألباني].

٥= عدم تعود الدعوة الى الله وممارستها

ونحن نسير فى هذا الطريق السابق ذكره- طريق ترسيخ العقيدة فى قلوبنا والارتفاع بمستوى إيماننا- فإن علينا أن ندعو غيرنا ليسيروا معنا فى نفس الطريق.

إن الدعوة واجب على كل مسلم- فقد قال تعالى لرسوله- صلي الله عليه وسلم: "أدع إلى ربك" [القصص:٨٧وقال أيضا: "قل هذه سبيلى أدعوالى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى" [يوسف:١٠٨].. فهكذا كل متبع لمحمد- صلي الله عليه وسلم- مكلف أن يدعو بدعوته، وأن يتبع سبيله ومنهجه فى الدعوة.

ومن ثم فإن دعوتنا- كما أمر القرآن وفعل الرسول- تكون للأقرب فالأقرب.. فتكون فى البيت أولا.. ثم فى الحلقة القريبة من الأقرباء والأصدقاء.. ثم تتسع الحلقة، وهلم جرا.

ولأن البيت هوالخلية في المجتمع المسلم لذا نال اهتماما خاصا في القرآن حيث يقول: "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة" [التحريم:٦].

ولعل كثيرا منا ينفذون هذا الأمر بطريقة خاطئة- وهى طريقة العنف والأمر الفظ- فيكون رد الفعل العكسى هوالرفض والعناد. وقد نبهنا الله تعالى إلى نتيجة الفظاظة فى المعاملة فى قوله لرسوله: "ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك" [آل عمران:١٥٩].

لقد كان سبيل الرسول- صلي الله عليه وسلم- فى الدعوة هو اللين والحلم والأناة.. وكانت هذه وسيلته فى تأليف القلوب حوله.

وكان يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة كأمر ربه: "وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" [النحل:١٢٥]. وهذا الجانب من الحكمة من الأهمية بمكان لنا فى دعوتنا، لأنه يغلب علينا تجاهله أحيانا! إن بعضنا يجهل ظروف ونفسيات وقدرات من يدعوهم- خاصة النساء والأولاد- فيعرض لهم الدين فى صورة تبدو لهم وكأنه لا يعدو مجموعة من القيود والأغلال!! وبعضنا يدعو بترديد كلام قديم محفوظ لا علاقة له بالحاضر، فيبدو للسامعين وكأنه منعزل عن الواقع ولا يفهمه، فينفر منه المدعون!!

علينا ألا يغيب عن بالنا أن الدعوة تهدف إلى تغيير ما فى نفوس الناس.. وهذا يقتضى الوصول إلى ما بداخلهم والتعامل معه- وهذا ما كان يفعله رسولنا الكريم!

وكان صلي الله عليه وسلم قدوة لما يدعواليه.. وكذلك كان المسلمون الأوائل.. وكـــان هـــذا هـــواهم سلاح، بل والسلاح الأوحد الذى انتشرت به الدعوة.

هذه هى سبيل الرسول- صلي الله عليه وسلم- التى نتأسى بها فنجعلها سبيلنا!

وقد رغب الرسول- صلي الله عليه وسلم- فى الدعوة فقال- ضمن حديث له-:"من دعا إلـــى هـــدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا" [مسلم]..

وقال أيضا- ضمن حديث آخر-: "فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمْر النَّعَم" [متفق عليه].

ومن باب الدعوة إلى الهدى التناصح فى الخير- وهو واجب بـــين المـــسلمين-.. وفـــى هـــذا قـــال الرسول- صلي الله عليه وسلم-: "الدين النصيحة" فلما سئل لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمـــة المسلمين وعامتهم" [مسلم]..

وقال الصحابى جرير ابن عبد الله- رضي الله عنه-: بايعت رسول الله- صلي الله عليه وسلم- على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم" [متفق عليه].

فعلينا أن ندعو وأن ننصح! وإذا قام كل منا بواجبه فى هذا المضمار فـــسنرى عـــدد رواد المـــساجد وحلقات الدرس يزيد، وستنمو جذور المجتمع المسلم.

وعدم امر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر والحرص على هدايتهم ومحبة الخيـــر لهـــم وعـــدم أشعارهم بأنهم لاشيء واشعارهم كذلك بمحبتهم ومحبت الخير لهم ولنا في رسول الله أســـوة حـــسنة. ولابد كذلك من المعايشة التي تعنى العيش مجتمعين على الألفة والمودة. ومعايشة المؤمنين وتجنـــب الفاسقين واجب أمر به الله تعالى.. قال: "فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الـــدنيا" [النجم:٢٩].

وكما ورد في حديث نبوي، فإن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنهم كـــانوا يتعايـــشون مـــع الفاسقين منهم ولا يقاطعونهم.

إن معايشة الفاسق قد تُعدى فسقا.. بينما أن معايشة المؤمن لا تثمر إلا خيرا. وقد شبه الرسول-صلي الله عليه وسلم- هذا الموقف فقال: "إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المـــسك ونـــافخ الكير- فحامل المسك إما أن يُحذيك (يعطيك) وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبا.. ونـــافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة" [متفق عليه]. ولاكن لابد من معرفة العوامـــل التي تساعد على تقارب المسلمين هوالتعامل طبقا لتعاليم الإسلام.. فقد نسيها المـــسلمون!! نـــسوا أن تعاليم الإسلام في التعامل بينهم تدعوهم إلى المحبة والتواد والعفو وكظم الغيظ والتعـــاون والتـــآزر،

وغفلوا عن تحذير الله: "إن الشيطان ينزغ بينهم" (الإسراء:٥٣)، وأطلقوا لأنفسهم العنان فى التنـــازع والتخاصم والتدابر والتباغض والتحاسد.

علينا ألا ننسى أننا بشر، كل منا له نواقصه وعيوبه، فلا نتوقع المثالية فى تعاملنا مع بعضنا!..
علينا نعامل المخطئ على أنه أخ، فلا نهجره وإنما نقف بجانبه لنساعده على تصحيح خطئه!..
علينا أن ندفع الإساءة بالإحسان كما قال لنا القرآن: "ادفع بالتى هى أحسن السيئة فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم" [فصلت:٣٤].. علينا أن نصفح كتوجيه القرآن: "فاصــفح الــصفح الجميــل" [الحجر:٨٥].. وأيضا: "وليعفوا وليصفحوا. ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟!" [النور:٢٢]!..
علينا أن نكظم الغيظ ونعفو لنكون من المحسنين الذين قال فيهم القرآن: "والكاظمين الغيظ والعــافين عن الناس. والله يحب المحسنين" [آل عمران:١٣٤].

علينا أن نتجمل بالصبر على الإساءة كما قال لنا القرآن: "ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور" [الشورى:٤]!
ولنتأمل معا هذه الرواية التى رواها أبو هريرة- رضي الله عنه- قال: إن رجلا شتم أبا بكر-رضي الله عنه- والنبى- صلي الله عليه وسلم- جالس.. فجعل النبى- صــلي الله عليــه وســلم- يعجــب ويبتسم.. فلما أكثر رد عليه بعض قوله.. فغضب النبى- صلي الله عليه وسلم- وقام.. فلحقــه أبــو بكر- رضي الله عنه- فقال: يا رسول الله، إنه كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت بعــض عليــه قوله غضبت وقمت! قال: "إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان" [أحمد].
لعله من النادر أن نرى أحدنا يتصرف كتوجيهات القرآن والرسول! إننا في أغلب الأحــوال تأخــذنا العزة، ونعتبر أن عدم الرد عجز وضعف وذلة!! لقد قال لنا القرآن في وصف المؤمنين الذين يحبهم الله: "أذلة علي المؤمنين أعزة على الكافرين" [المائدة:٥٤]. فهذا هو توجيه القرآن- أن نذل لبعــضنا البعض بالصبر على النواقص والعيوب، وبالصفح والمغفرة، وبالسماحة والتواضع، وبالود والتراحم!
علينا أن نقتدي بالمسلمين الأوائل الذين قال فيهم القرآن: "محمد رسول الله والذين معه أشــداء علــى الكفار رحماء بينهم" [الفتح:٢٩].. وقد قال لنا رسول الله- صلي الله عليه وسلم-: "مــن لا يَــرحم لا يُرحم" [متفق عليه].. وقال: "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله" [متفق عليه].

ومن صفات التراحم ستر عيوب وأخطاء الآخرين. قال- صلي الله عليه وسلم-: "لا يستر عبدٌ عبــدًا إلا ستره الله يوم القيامة" [مسلم].. جاء رجل يوما إلى عمر ابن الخطاب- رضي الله عنه- ظانًا أنــه

يحمل إليه بشرى، فيقول: يا أمير المؤمنين، رأيت فلانا وفلانة يتعانقان وراء النخيل.. فيمسك عمــر بتلابيبه (ثيابه) ويعلوه بمخفقته (عصا صغيرة كان يحملها دائما) ويقول له بعد أن يوسعه ضربا: "هلا سترت عليه ورجوت له التوبة؟! فإن رسول الله- صلي الله عليه وسلم- قال: "من ستر مسلما ســتره الله فى الدنيا والآخرة" [مسلم].

فهلا نتواد ونتراحم ونكون كالمثل الذي ضربه الرسول- صلي الله عليه وسلم- فــي حديثــه: "مثــل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له ســائر الجــسد بالسهر والحمى" [متفق عليه].

انتهى، ولله الحمد والمنة